جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

ثنائية الأنا والآخر فى رواية شيكاجو

إعداد

د / محمود حسن محمود
قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر.

(العدد الثاني والأربعون)
(الإصدار الأول ٠٠٠أبريل)
(الجزءالثاني (١٤٤٤هـ /٢٠٢٣م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN)2536-9083)
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٣/٦٢٧١م

ثنائيــة الأنا والآخــر فــي روايــة شيكاجــو

محمـود حسـن محمود

قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: altair441995@gmail.com

الملخص:

تناولت هذه الدراسة بالتحليل الخطاب الدلالي للأنا في رواية شيكاجو، للكاتب المصري علاء الدين الأسواني، وهي رواية ذات طبيعة سردية إشكالية، حيث تعرض سردها لعلاقة الأنا العربية بالآخر الأمريكي، وهي علاقة محوريـة، كشفت عن خلل في البنية التفكيرية للذات العربية، وعجز في قدرتها عن مواجهـة الآخر الأمريكـي، وتمثل هذا الخلل والعجز في أربع إشكاليات :الأولى: غواية الآخر: التاريخ والحاضر والمكان والحضارة، بوصفها –جميعا– محددات أنتجت خطاب التفكيك والأزمـة للأنـا العربية. الثانيـة: تبعية السلطة السياسية العربية للآخر، وجدل وعـي الأنـا إزاء هذه التبعية. الثالثـة: المرأة العربية وانـهزام الذات فـي شيكاجو. الرابعـة: المرأة الأمريكيـة بين خطاب الواقع ومشروع السرد الدلالي.

الكلمات الافتتاحية: رواية، الأنا، الأخر، سرد، متخيل.

The duality of the ego and the other in the Chicago novel

Mahmoud Hassan Mahmoud

Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Egypt.

Email: ***altair441995@gmail.com***

Abstract

This study analyzed the semantic discourse of the ego in the novel Chicago, by the Egyptian writer Aladdin Al-Aswany, which is a novel of a problematic narrative nature. Confronting the American other, and this imbalance and inability is represented in four problems: the first: the seduction of the other: history, present, place and civilization, as - all - determinants that produced the discourse of deconstruction and crisis of the Arab ego. The second: the subordination of the Arab political authority to the other, and the argument of the ego's awareness regarding this dependence. Third: Arab women and self-defeat in Chicago. Fourth: American women between the discourse of reality and the semantic narrative project

Keywords: *: Novel, Ego, Other, Narration, Imagined.*

بِسْمِ اللّـهِ الرّحْمَـٰنِ الرّحِيمِ

مقـدمـــة

الحمد لله الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأكرم وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد لم تكن الرواية في يوم من الأيام ومنذ نشأتها بمعزل عن معترك الحياة بل على العكس كانت ولازالت أقرب الأجناس الأدبية لواقع المجتمع وظروف الحياة وتفاصيلها وما يشغلها من آلام وأحلام والأديب ابن بيئته يستقى منها مادته الروائية وتؤثر على قلمه فيسطر ما يدور من حوله وينقله من الواقع المعيش إلى كلمات يختلط فيها الخيال مع الحقيقة والأفكار مع المشاعر .

ومن القضايا التي شغلت عقول الأدباء وأخذت حيزا من نتاجهم الأدبي (ثنائية الأنا والآخر) وهى من القضايا التي نتجت عن احتكاك الشعوب وظروف القهر والعنف وما يدور في العالم من صراعات بين دول لها النفوذ والسلطة وبين دول انهكها الفقر والحروب فتراجعت عن ركب الحضارات المتقدمة فدار الصراع على صفحات الروايات لتحكي عن فئة مضطهدة تمثل الأنا وأخرى سلطوية قوية متحكمة يمثلها الآخر حيث يظل النزاع قائما وبين شد وجذب وقوة وضعف تتضح الصورة لكليهما وتظهر إحداهما ما تخفيه الأخرى فالضد لا يظهر حسنه إلا الضد.

كانت رواية (شيكاجو) للكاتب "علاء الأسواني" واحدة من تلك الروايات التي انطوت على تلك الثنائية وجعلتها نقطة انطلاق للإبحار في عوالم الغرب

والشرق وإبراز المتناقضات عبر فلسفة الكاتب ورؤيته حيال أوضاع كلا المجتمعين كما سلطت الضوء على إيجابية العلاقة بين الشرق والغرب وسلبيتها من خلال هجرة الأنا إلى الآخر والعيش معه في عقر داره .

لذا فإن هذا البحث يناقش تلك الجدلية ويعرض لفلسفة الكاتب وما حاد فيها عن الصواب وما أجاد من رؤى من خلال هيكل الرواية ومفرداتها وأحداثها ومكوناتها

منهـج البحث

اتبع البحث المنهج التحليلي الذى يعنى بتقصي الظاهرة ودراستها من عدة جوانب.

الدراسات السابقة

ولم تكن هذه الدراسة هي الفريدة من نوعها في هذا المجال بل سبقتها دراسات في هذا المجال منها ما هو خاص بروايات (علاء الأسواني) ومنها ما قد تناول روايات أخرى مثل:

١)مرسى إبراهيم أبو دقة الخطاب الدلالي للأنا في رواية (شيكاجو) (لعلاء الأسواني) ، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ،المجلد ٣٦ العدد٣،سنة ٢٠٠٩.

٢)د عبدالله ابو هيف ، صور الآخر والحوار بين الحضارات في الرواية العربية، مجلة دمشق مجلد ٢٤ العدد الثالث والرابع ٢٠٠٨.

جاء البحث فى مقدمة تحمل أهمية البحث ومدخل تعرض للأنا والآخر من حيث المفهوم اللغوي والاصطلاح النقدي ثم عرض البحث ما دار في تلك

الثنائيـة علـى صفحات روايـة (شيكاجو) وانتهـى البحث بخاتمـة عرضت أهم النتائج .

والله اسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه وأن ينفع به طلاب العلم إنـه ولى ذلك والقادر عليه.

د/ محمود حسن محمود

دكتوراة الأدب والنقد جامعة الازهر بأسيوط

مدخـل ثنائيـة الأنا والآخـر :

من الصعوبة بمكان فصل الأدب عن معترك الأحداث التي يعيشها أي مجتمع من المجتمعات ولا يحيى الأدب إلا بالتماس مع الواقع من قريب أو بعيد، وكانت الرواية أكثر الأنواع الأدبية محاكاة للواقع المعيش على اختلاف ظواهره الاجتماعية، وقضاياه السياسية والفكرية، وكذلك مع تنوع الأدوات المستخدمة في الإفصاح عن الجوانب المسكوت عنها، التي تمثل في الوقت نفسه الفضاء الذي يمد الكاتب بالأفكار والآراء، ليصيغها في قالب سردي يُجبر القارئ على مواصلة القراءة ويقحمه في أجواء تجربة الأديب وأحداثها .

ومن الجوانب التي تطرق إليها كُتاب الرواية الأدبية، ثنائية الأنا والآخر، والتي تُعد من أهم الموضوعات الموجودة على الساحة التي أخذت حيزا أكبر من الدراسات الأدبية، خاصة في الآونة الأخيرة بعد زيادة حدة القمع والعنف والصراعات والحروب التي سيطرت على الجدلية بين الأنا والآخر تلك الحروب والصراعات القائمة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ومع اتساع حدة الهوية بين الأنا والآخر، لم يكن هناك ثمة لغة تفاهم بين الاثنين ولم يكن هناك حوار بينهما .

ومن ثم جاءت الرواية كأداة في يد الأديب؛ ليعكس من خلالها أحلام الشعوب وآلامها التي وقع عليها القهر من أطراف داخلية أو خارجية، فترتب عليها ذهاب الأصالة أو طمس للهوية، أو حتى الذهاب بالأفكار والقيم والعادات والتقاليد، ولم تكتف الرواية بذلك فحسب ، بل تطرقت إلى إبراز العلاقة بين الأنا والآخر وشعور الأنا وهو يمارس حياته على أرض الآخر والاحتكاك المباشر به والعيش معه في أنماط حياته العلمية والأدبية والفنية والواقعية كما عالجت الرواية مواطن ضعف الأنا ونقصها عندما تقارن ذاتها بالآخر في ظل علاقة احتكاك مباشرة مع الآخر .

الأنا والآخر بين اللغة والاصطلاح:

الأنا لغة واصطلاحا:

وردت الأنا في المعاجم اللغوية ضميرا للمتكلم المؤنث والمذكر على حد سواء فجاء في معجم المحيط (فالأنا ضمير رفع منفصل للمتكلم مذكرا أو مؤنثا مثناة وجمعه نحن) [١]

ومن ثم جاءت الأنا وصفا يرجع إلى النفس والذات للشخص المؤنث والمذكر معاً وكما جاء في معجم الوسيط : (ضمير رفع منفصل للمتكلم والمتكلمة) [٢].

وهكذا فإن الأنا في المعاجم اللغوية قد دار معناها بين الذات والنفس للتعبير عن المتكلم مذكرًا كان أو مؤنثاً.

وفى الاصطلاح:

من التعريفات للأنا والمتعلقة بالأدب (بأنها ذلك التيار من التفكير الذى يكوِّن احساس المرء بهويته الشخصية) [٣].

ومن ثمَّ فإن الأنا هي فكر يشير إلى شعور الأديب بالانتماء والهوية وهو فكر ثابت يرتبط بالنفس والوجود يجليها عند اصطدامها بالآخر فهو مرآة عاكسة لها يساهم في الإفصاح عن مواطن ضعفها وقوتها (ضمير متكلم قائم بذاته ولذاته لا

---

(١) بطرس البستاني ، محيط المحيط ،مكتبة لبنان ، ط ١٩٨٧،ص ١٨

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة مصر ط٤، سنة ٢٠٠٤ ، ص ٢٨

(٣) عمر عبد العلى علام الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر دار العلوم للنشر القاهرة ط١ ص٩

ينازعه أو يشاركه في ذاتيته وبصفته آخر فهو مستقل عن غيره وإن كان منتجا له وناتجا عن علاقته به) [١].

وعلى هذا تدور ثنائية الأنا والآخر في معناها الاصطلاحي حول تلك المقارنة المعقودة بين الذات وغيرها وأوجه التشابه والاختلاف في الذات والصفات والأفعال

الآخر لغـة :

لقد دار معنى الآخر في المعاجم اللغوية حول الغيرية والمخالفة وبمعنى الغير سواء كان هذا الغير إنسانا أم شيئا من الموجودات .(الآخر بالفتح أحد الشيئين وهو اسم على أفعل والأنثى أخرى إلا أن فيه معنى الصفة لأن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة والآخر بمعنى غير كقولك رجل آخر وثوب آخر وأصله أفعل من التأخر فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلتا فأبدلت الثانية ألفا لسكونها وانفتاح ما قبلها) [٢].

وعلى هذا فقد دلت كلمة آخر على معنى "غير" بكل أشكاله إنسانا أو مكانا أو زمنا تاريخيا أو جمادا على وجه العموم .

ولم تختلف لفظة الآخر في القرآن الكريم عن هذا المعنى وقد جاءت بصفة المفرد والجمع معا معبرة عن الذوات والأشياء قال ـ تعالى ـ : (إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) [٣].

---

(١) أحمد ياسين سليماني ، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ط١ دمشق سوريا ٢٠٠٩ ص ١٩٢

(٢) ابن منظور لسان العرب المجلد الأول الجزء الأول دار صادر بيروت لبنان ط١ ١٩٩٠ ص ٣٨ .

(٣) سورة المائدة من الآية ٢٧.

وبالمثنى قال ـ تعالى ـ: (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) [1].

ومن الجمع قال ـ تعالى: (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)[2].

ومنه أيضا للعاقل قوله ـ تعالى ـ : (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سيئا)[3].

وعلى هذا فقد جاءت لفظة الآخر بمعنى الغير في القرآن الكريم وتعددت ما بين المثنى والمفرد والجمع .

الآخر اصطلاحا:

لقد أولى الكتاب والباحثون لمصطلح الآخر أهمية كبيرة باعتباره نقيضا للأنا أو مثيلا أو ندا لها فهو كل ما كان موجودا وجودا مستقلا عن الأنا ، فهو ذات ثانية غير الأنا مخالفا لها في صورة أخرى (إن امرأ لا يتشكل كفرد دون علاقة تربطه بالآخر فالطفل حيث يرى صورا في المرآة فإنه لا يزال يستبدل صورة الآخر هذه بنوع من الأنا لكنه تدريجيا يدرك أن الصورة محض صورة خارجية بالنسبة للذات ومن هنا يصبح فردا مدركا ومادة يدركها) [4].

ومن ثم يعد الآخر مرآة عاكسة للأنا يتشكل تدريجيا معها يساهم في تنمية الوعى لديها ويكون عاملا له أثره في تكوينها ، كما يسير الآخر صعودا وهبوطا مع

---

(1) سورة المائدة من الآية ١٠٦.

(2) سورة آل عمران من الآية ٧ .

(3) سورة المائدة الآية ١٠٢.

(4) محمد الخباز، صورة الآخر في شعر المتنبي المؤسسة العربية للدراسات والنشر .بيروت لبنان ط١ ،٢٠٠٩ ص٢٢

الأنا فيتحول الآخر إلى مقياس يتعرف به الأنا على ذاته وهويته باعتبار أن ، الآخر هو انعكاس للذات فهو يخالفها أو يماثلها فالضد دائما ما يظهر حسنه الضد . وهكذا يتحول الآخر إلى وسيلة لفهم الأنا واستيعاب مواطن قوتها ومكامن ضعفها فلولا الآخر لما اكتملت صورة الأنا لدى الذات نفسيا وفكريا (إننا نقيم أنفسنا من منظور الآخرين إننا نفحص تأملاتنا بحياتنا الخاصة ونتفهمها عبر وعى الأشخاص الآخرين) [1].

ولما كان الآخر من حيث اللغة بمعنى الغير تحول الآخر وتحدد من خلال زاوية الرؤية للناظر إليه فالآخر بالنسبة للذات العربية هو الأوربي أو الأجنبي والآخر بالنسبة للذات الدينية هو الآخر من ديانة أخرى والآخر بالنسبة لساكن جنوب الدولة هو من يسكن الشمال وهكذا يتعدد الآخر بتعدد الناظر إليه على الجانب الأخر.

ظاهرة الأنا والآخر فى رواية فى رواية شيكاجو.

فى رواية "شيكاجو" يبدو المكان حاضرا منذ البداية وكان الآخر حاضرا معه حيث عاش "علاء الأسواني " في هذه المدينة وتأثر بها فجاء الوصف ممزوجا بالشوق والتواصل مع مفردات المكان وشخصياته حتى تحولت الشخصيات إلى إشكاليات عبرت عن اختلاف المرجعية الثقافية واختلاف المجتمع والمكان بين مصر" وشيكاجو " فرغبة الأنا في التواصل مع الآخر والاندماج معه والتماهي فيه بات محورا أساسيا تدور حوله الرواية فليس هناك شخصية على أرضية هذا المكان

([1]) حسين عيد الشمري صورة الآخر في الخطاب القرآني دراسة نقدية جمالية دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط٨١، ص ٢٩.

إلا وتحاول الانسلاخ وإلغاء العرف والتنكر لكل الصلات السياسية والدينية والثقافية بين الأنا العربي والآخر الأمريكي .

أمثال ذلك "رأفت ثابت " الذى كان يحلم بالعيش في تلك البلد وما أن وصل إليها حتى بدأت نوازع المكان تتحرك في داخله فكان التأثر بالآخر سمة غالبة على شخصيات الرواية وقوة فاعلة ومؤثرة .

ومن مظاهر ذلك ما حدث ل "ناجى عبد الصمد " الذى مارس الرذيلة منذ وطئت ـ قدمه أرض هذا المكان ولم يصمد أمام إغراءات المكان ليكمل به منظومة الهزيمة الإنسانية للإنسان المصري أمام الواقع الأمريكي .

فكان المكان بمثابة الوسيلة للدخول إلى الشخصية في بعدها الأخلاقي وتميزها لبيان ذوبانها في الآخر ، ولكن "الأسواني " فشل في تقديم المبررات لذلك والإقناع بها "فرأفت ثابت "الذى كان تابعا للآخر في السلوك والفكر تلك الشخصية التي فقدت كل روابطها بالشرق بسبب سطوة الآخر عليها تحاول أن تجعل أفكارها منطقية في الاقتناع بالآخر ولكنها تفشل نظرا للفارق الزمني والمكاني والبعد الاجتماعي والأخلاقي يقول "الأسواني " (المصريون لا يصلحون للعمل في الأماكن المحترمة لأن عيوبهم كثيرة وفادحة الجبن النفاق الكذب المراوغة والكسل، وعدم القدرة على التفكير المنظم والأسوأ من ذلك العشوائية والفهلوة هذه النظرة السلبية للمصريين تتوافق مع تاريخ رأفت ثابت فقد هاجر إلى أمريكا بعد أن أمم عبدالناصر مصانع الزجاج التي يمتلكها محمود باشا والده وبالرغم من القبضة الحديدية للنظام آنذاك فقد استطاع أن يهرب بمبلغ مالي كبير بدأ به حياته الجديدة فتعلم حتى حصل على الدكتوراه وعمل بالتدريس في عدة جامعات أمريكية في نيويورك وبوستن ، ثم استقر فى شيكاجو منذ ثلاثين عاما وتزوج من الممرضة متشل وحصل على الجنسية الأمريكية وصار أمريكيا في كل شيء فهو لا يتحدث العربية

مطلقا) [1]. جعل "الأسواني " المكان هو الإطار العام للقص والذى كشف من خلاله عن رغبته في التعبير عن انهزام الذات العربية أمام الآخر الأمريكي منها قصة "رأفت ثابت "وشيماء محمدي" وهى تعد من القصص المحورية في رواية شيكاجو منها أيضا قصة سارة ذات الأسرة المزدوجة حيث نشأت لأب فشل في تحقيق ذات أمريكية رغم تخليه عن كل ما هو مصري .فكان مصير الابنة القتل بجرعة مخدرات .

ومن ثم استعمل "الأسواني" المكان وجعله بؤرة سردية تجمع كل عناصر السرد المختلفة كانت "شيكاجو" هي تلك البؤرة التي استعملها في الرواية كتمهيد لإنتاج شخصيات لها دور فعال مثل "صفوت شاكر " و "أحمد دنانة " من ذوى طابع الإجرام ، ثم بدأ بعد ذلك بنسج خيوطه الروائية حول هاتين الشخصيتين وما تحملان من صفات سيئة واستخراج كل ما هو قبيح من رجل المخابرات المصري .

ليتخذ من ذلك دخيلة لإظهار الفساد السياسي ويضيف إلى انكسار الذات المصرية انكسارا آخر أمام آلة السلطة المصرية حيث كان دور هذه الشخصية ينحصر في إجبار المعتقلين على الاعتراف عن طريق اغتصاب ذويهم (خلال سنوات طويلة لم يصمد معتقل واحد أمام صفوت شاكر فكان كثير منهم يعترفون بانضمامهم إلى عدة تنظيمات في نفس الوقت أو حتى يوقعون ورقة على بياض ثم يتولى صفوت شاكر الاعتراف الذى يريده) [2]. ومن هنا كان اختيار "الأسواني " المكان كخلفية فكرية (شياجو) لتصوير العلاقة بين الأنا والآخر ومن ثم ربط ذلك

---

(1) علاء الأسواني رواية شيكاجو دار الشروق ط ٢٠١٥ ، ص ٤٢.٤٣.

(2) علاء الأسواني رواية شيكاجو مرجع سابق ص ٣١.

المكان بوجود الشخصيات المصرية على أرضية هذا المكان وبدأ في تفجير أزماتها النفسية وأحداثها الروائية من خلال وجود هذه الشخصيات في ذلك المكان .

ومن ثم تدرجت ثنائية الأنا والآخر في روايات (الأسواني بين نيران صديقة . وعمارة يعقوبيان وشيكاجو) ولم تعد في زعمي هذه الثنائية من مرتكزات الرؤية عند (علاء الأسواني)، بل هي من صميم توجهه السياسي اليساري المعارض إلا أن قصة (شيماء محمدي) فى رواية (شيكاجو) هي التي تولت إبراز ثنائية الأنا والآخر منذ بداية الرواية.

حيث بدأ ربط المكان بهذه الشخصية منذ المقدمة التاريخية التي سردها المؤلف عن المدينة للإعلان عن حضور الآخر الذى بدأ "علاء الأسواني " بسؤال يخاطب فيه المتلقي أكثر مما يعرف الشخصية (من أين لشيماء محمدي أن تعرف كل هذا التاريخ) [1]. وكأن المؤلف يريد أن يعمق الوعي بمكان الآخر الذى سيمارس على أرضه كثيرا من الأبعاد الاجتماعية والفكرية والثقافية للشخصيات على رأس هذه الشخصيات "شيماء محمدي " التي تعد من الشخصيات الرئيسة والمحورية التي حظيت باهتمام تفصيلي من قبل "الأسواني " نظرا لتفوقها الدراسي وذكائها ووضعها الاجتماعي والأسرى وتجاوزها الثلاثين بدون زواج شغلت مساحة كبيرة من السرد لتشكيل انكسارات الأنا، أمام الآخر على شكل مغامرات حتى غدت الأنا قوة فاعلة منظمة في النص تمارس سطوتها منذ يومها الأول في مدينة (شيكاجو)

استعرض "الأسواني "مبنى هذه الشخصية من الداخل والخارج وقدم تحليلا نفسيا مفصلا عنها (وما أن خرجت من القطار حتى ذهلت رأت شوارع فسيحة إلى

([1])علاء الأسواني رواية شيكاجو مرجع سابق ص ١٣

درجة لم تتخيل وجودها قط ناطحات سحاب شاهقة جبارة تنتشر في مدى النظر فتمنح المدينة طابعا أسطوريا سحريا كما في مجلات الأطفال الخيالية موجات متتابعة من الأمريكيين يتدفقون كطوابير النمل من كل مكان يدبون على الأرض بسرعة وجدية وكأنهم يسارعون للحاق بقطار على وشك الانطلاق أحست في تلك اللحظة أنها غريبة وحيدة وضائعة كأنها قشة تتلاعب بها أمواج محيط هادر تملكها خوف سرعان ما تحول إلى مغص يقرص أحشاءها كأنها طفل ضاع من أمه في مولد السيد البدوي) [1].

بدأ المؤلف بهذه البداية ليعاين المواقع معاينة أولية بمفردات سردية تعانى فيها الأنا من إحباطات وخيبات.غرس تلك الشخصية في ذلك الفضاء الأمريكي المقلق المخيف والمختلف ليعيش متاهة اجتماعية لا حدود لفرضيتها الأخلاقية أو القيمية أو الدينية "شيماء باسمها العربي الإسلامي الأصيل الذى اختلقه الكاتب ليؤصل لجذور تلك الشخصية في مصر قبل وصولها إلى" شيكاجو " فكان هذا السم مسوغا له دلالة للأنا في مجريات الأحداث بشكل مباشر من خلال تأصيل المفارقة بين الأنا والآخر التي ستشهد انكسارا في نسقها الثقافي الظاهر والمضمر على حد سواء باعتبارها الوسيط السردي المعلن الذى يصطدم بخطاب الآخر

كما أن ثنائية الأنا والآخر قد ظهرت على مستوى الشخصيات من خلال تلك الأنماط التي عايشها الكاتب وتأثر بها تأثرا واضحا فهو يتشوق لوصفها وخاصة ما تحول منها في نفس "الأسواني" إلى إشكالية ذاتية أخذت مساحة من السرد في الرواية باعتبار اختلاف الظروف والمكان والزمان بين "مصر وشيكاجو" أدى إلى اختلاف الثقافة والمجتمع فرغبة الأنا في التواصل مع الآخر أصبح أمرا ملحا ونقطة

([1]) علاء الأسواني رواية شيكاجو مرجع سابق ص ١٧ ، ١٨

محورية في الرواية حدث ذلك مع (ناجى عبد الصمد) الذى لم يصمد أمام إغراءات المكان فالمكان قام بالدور الأول في تحديد مواقف الشخصيات حيث يسبر المكان أغوار الشخصية ويتسرب إلى أعماقها. تماما كما حدث مع "شيماء محمدي "الشابة الطموحة التي لا تعرف الانكسار إلا أنها بعد سفرها إلى "شيكاجو" شعرت بالانكسار والهزيمة أمام الأزمات النفسية والاجتماعية حتى أنها قررت إلغاء البعثة والعودة إلى مصر فهذه الصفة لم تكن ملازمة لها في الماضدي ولكن هذه الصفة جاءت بفعل المكان والأحداث التي حدثت على أرضه وأعجزها عن كسب الأصدقاء وفقدانها التعامل مع الامريكيين وشعورها أنها منبوذة لأنها عربية محجبة .

يدلف "الأسواني" من خلال قصة "شيماء محمدي" إلى رسم صورة الواقع الأمريكي عن طريق مقارنة المرأة العربية بالمرأة الامريكية بغية إسقاط شروط الأخلاق والعفة والدين والطهر كفوارق أساسية بين المجتمعين بما يحمل إدانة مباشرة للدين وجعله سببا مباشرا لتأخر الشرق فهو ينعى الواقع العربي بأنه لو كانت العلاقة خارج الزواج عيبا وذنبا عظيما وتحيق اللعنة على مرتكبيه فلماذا لا يلعن الله الأمريكان الذين يعيش معظمهم في الحرام (هؤلاء الشبان والفتيات الذين ينتشرون خلال عطلة نهاية الأسبوع في محطات المترو والحدائق إنهم يتبادلون القبلات الحلوة علنا ويتمادون أحيانا فيفعلون على الملأ ما تخجل هي أن تفعله مع زوجها الشرعي في حجرة مغلقة لماذا لا يحيق السخط بهؤلاء الفاسقين هل سيحاسبنا الله نحن المسلمين بطريقة ويحاسب الأمريكيين بطريقة أخرى هؤلاء الأمريكيون يقترفون الكبائر جميعا يزنون ويمارسون الشذوذ بأنواعه يلعبون القمار ويحتسون الخمور لكن سبحانه لا يبدو غاضبا عليهم لأنه بدلا من عتابهم على المعصية منحهم الثروة حتى أصبحوا أكبر وأقوى دولة في العالم

لماذا يعاقبنا الله نحن المسلمين عندما نقترف الذنوب في حين يتساهل مع الأمريكيين أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ... أستغفرك ربى وأتوب اليك) [1]. "وهنا يستدعى "الأسواني الواقع الأخلاقي والقيمدي والديني العربي ويضعه في موضع مقارنة بينه وبين الواقع الغربي وربطه بالتحرر الجنسي والتقدم التكنولوجي بالأخص المجتمع الأمريكي وهنا يظهر "الأسواني " قناعاته الفلسفية وكأنها أساسيات وحقائق ومسلمات من الواقع الغربي ليبرهن على الواقع العربي المأزوم كدليل واقعى وليس من قبيل الافتراض ولا يحتاج إلى نقاش ومن هنا هو لا يلتزم بالمنهج الفني فى السرد لأن كل واقع مأزوم له نتائجه السلبية التي يعيشها العالم العربي ولكن هذه النتائج تكون مسبوقة بمقدمات ومعطيات لا ينبغي تجاوزها للحديث عن ممارسات خاطئة والعودة عليها باستغفار يسير، رغم الاعتراض المقصود على حكمة الله على معاصي الغرب.

فاختزال التفكير المأزوم باستغفار دون النظر في الأسباب والمقدمات التي أفرزت هذا الواقع العربي وجعلت الواقع الغربي أكثر تحضرا لا يختزل في قبلات الغرب وأحضانهم كأنها شكل من أشكال الرضى الإلهي .

إن هذا السرد التلفيقي من "الأسواني " والذى سعى فيه إلى بيان اعتراضه على قدر الله في أخلاق الغرب يعد بمثابة الضوء الأخضر والمبرر الحضاري كما يراه السرد ، لممارسة الرذيلة ، لا أدل على ذلك من إشفاع السرد بالأمثلة التي مارست الرذيلة في مصر وفازت بزواج ناجح .

إن التعبير عن وطأة الأنا المهزومة أمام شهواتها المقهورة في موطنها الأصلي مما دفع المؤلف إلى البحث عن مكان آخر "شيكاجو" ليكون واقعا مختلفا له

([1]) علاء الأسواني رواية شيكاجو مرجع سابق ص ٢٢٩ ،٢٣٠

مواصفاته الخاصة ، وثقافته التي تتحكم في شخصياته "فشيكاجو" هي الاطار العام للمكان الذى سعى المؤلف من خلال قصصه أن ، يفرغ رغبته في التعبير عن انهزام الذات العربية أمام الواقع الأمريكي وأمام ذاتها ولكنه أخفق في تبرير انهزام الذات العربية أمام الآخر لعدم توفر الشروط الحقيقية لهذا الانهزام ، فضلا عن كونه لا يقتصر على الجانب السياسي فحسب والأهم ،ومن ناحية أخرى فقد أخفق السرد في إدانة القيم الاجتماعية والأخلاقية الغربية .

تماما كما حدث في زواج "الدكتور دنانة" ، الذى اقترن فيه بالآنسة "مروة نوفل" يقول المؤلف (عندما تقدم الدكتور دنانة للآنسة مروة نوفل بدا بكل المقاييس عريسا ممتازا متدينا بدليل علامة الصلاة على جبينه والمسبحة في يده واستشهاده الدائم بالقرآن الكريم والحديث وحرصة على أداء الصلاة في أوقاتها مهما تكن الظروف وجاهز بأعباء الزواج يمتلك شقة فاخرة مساحتها ٢٠٠ متر تطل على شارع فيصل بالهرم وقد أعلن استعداده لدفع المهر المطلوب وشراء الشبكة التي تختارها العروس في حدود المعقول والأهم من ذلك أنه مدرس مساعد في كلية الطب ويتعلم في أمريكا وسوف يحصل على الدكتوراه ويعود ليشغل أعلى المناصب في مصر) [١]. هي مواصفات من المجتمع المصري ذكرت للمفارقة وإبراز اختلاف المكان فهذه المواصفات مطلوبة في كل فتى أحلام لفتاة مصرية فهو يريد من وصف الشخصية وربطها بواقعية المكان إبراز سمات المجتمع المصري بعاداته وتقاليده ليفتح بذلك الباب أمام علاقة الأنا، بالآخر التي توترت عند مروة وأصبحت إشكالية خاصة. تلك الفتاة الذكية المصرية الطيبة ذات الخبرة في الحياة التي تمتلك الكفاءة فى التعامل مع الآخرين وفقا لقيمها الدينية وأخلاقها العربية الأصيلة ، حيث يظهر ذلك جليا حين راودها "صفوت شاكر "مسئول المخابرات في السفارة

([١])علاء الأسواني رواية شيكاجو مرجع سابق ص٩٥,٩٦.

المصرية ، هذه الشخصية التي تكشف فساد السلطة المقنع بالسياسة من وجهة نظر "الأسواني" ليمارس الدور الرزيل تحت سمع وبصر ومباركة من الزوج الذى بدا فرحا مسرورا بشخصية "صفوت شاكر " التي يأمل من خلالها أن يحقق آماله العريضة

حتى لو وصل الأمر إلى عرضه وشرفه يقول الراوي (هل تعرفين من هو صفوت شاكر ليكن من يكون صفوت شاكر مسئول المخابرات في السفارة المصرية وأهم واحد فيها وأهم من السفير نفسه تقرير واحد يكتبه يرفعني للسما أو يقضى على مستقبلي نهائيا تطلعت إليه مروة مليا وكأنها تراه لأول مرة وقالت مهما يكن منصبه فليس من حقه أن يدخل بيتك وأنت غائب كما أنني أرفض أن يتحول بيتي إلى خمارة لن أسمح لك بتدمير مستقبلي أحذرك إذا جاء مرة أخرى وتعاملت معه بطريقة غير لائقة ستكون النهاية بيننا)[1]. بدت (مروة) من الشخصيات المأزومة فى موقفها الاجتماعي إذ حاولت أن تطرح كل البدائل الممكنة للخروج من الأزمة ولم تنجح فالمكان يفصلها عن أهلها بالمحيط الاطلنطي وعشرات الألوف من الكيلومترات (إنها وحيدة في هذا العالم غريبة في شيكاجو ولا يعرفها أحد ولا أحد يهتم بها إتجليزيتها الضعيفة لا تمكنها من التفاهم مع الناس وليس لها أحد في الغربة إلا دنانة هذا الشخص الذى تزوجته لن يعبأ بها إطلاقا وسوف يلقي بها في الشارع لو كانت ستكلفه عشرة دولارات إنه بخيل أناني لا يفكر إطلاقا إلا فى نفسه بل لعلها تفهم أكث من أي وقت مضى لماذا اختارها للزواج فها هو يبدأ في استحلاب ثروتها)[2]. تلك الصفات من(دنانة) الذى يمثل الأنا المصري كان من الممكن التغاضي عنها لولا ظهور "صفوت شاكر" في حياتها والذى يسعى لتحقيق

([1]) علاء الأسواني رواية شيكاجو مرجع سابق ص ١١٢

([2]) علاء الأسواني رواية شيكاجو مرجع سابق ص ١٢٣

مآربه الجنسية التي يصرح ويلمح بها من حين لآخر ومن هنا فهي تنتهك شعوريا وفكريا على مدار الساعة . فشكت الأمر إلى أهلها إلا أن الأهل لم يدركوا حجم الموقف نظرا لاعتقادهم أن الأمر يرجع إلى حرجها الأنثوي فقررت مسايرة الزوج بإظهار الاستجابة لنزواته وتظاهرت بمسايرة الضابط حتى تأكدت من خبث نواياه حاول (الأسواني) من خلال هذه القصة أن يبرز العلاقة بين طبيعة الأخلاق الحميدة للفتاة المصرية المتمثلة في "مروة" وبين مستوى السلوك للضابط القائم على إشباع رغباته .ومن هنا يوجه المؤلف فنيات السر لنقد الواقع الاجتماعي المصري الذى عجز عن حماية الشخصية التي تعيش صراع التناقض بين القيم والممارسات اليومية بدون وضع حل لهذه التناقضات إلا على طريق اللجوء إلى الأساليب الغربية.

كاستحضار صورة "كاظم الساهر" وصور الفنانين في مخيلة الشخصية "مروة" كنوع من الهروب من لقاءه الجنسي العنيف معها فهو لا يكتفى بتعرية نموذج الأنا المصري "أحمد دنانة "بل يدعو الى تبني قيم الآخر ثم ينتقي من السرد ما يدعم تلك الأفكار يظهر ذلك جليا في سرده للسيرة الذاتية لصفوت شاكر وما كان يرتكبه من جرائم التعذيب والقتل وهتك عرض المرأة أمام زوجها وأقربائه

ومن هنا يريد"الأسواني" إبراز هيمنة السلطة على هذه الشخصية وذلك اختزال رأى الآخر في سطوتها كما جاء على لسان المحقق الأمريكي مع "ناجى عبد الصمد" حيث قال:(اذا لم تتكلم سأفعل بك كما يفعلون في بلادك سنجلدك ونصعقك بالكهرباء ونغتصبك) [1]. على الرغم من اختلاف المكان (شيكاجو) التي ترفض سلطة المؤسسة العسكرية في بلادها "فالأسواني " يريد عن طريق الاسترجاع

(1)علاء الأسواني رواية شيكاجو مرجع سابق ص٤٣٥ .

التاريخي "لصفوت شاكر " أن يقف على مشاهد مأساوية تاريخية كانت تعيشها المعتقلات المصرية أيا كانت تهمة المتهم وانتمائه السياسي ليتخذ من المنولوج الداخلي وسيلة لإبراز الشخصية وكذلك أثر المكان فيها إن هذه الشخصية باتت عبئا على السرد فليس هناك حاجة لإبراز مثل هذه الشخصية التي تقود إلى ما هو سياسي وليس أدبيا أو فنيا يثرى الرواية إلا أن الرؤية الحقوقية والأبعاد السياسية التي تفرضها حركة كفاية المعارضة التي ينتمي إليها المؤلف قد فرضت عليه إقحام مثل هذه الشخصيات في سرده الروائي حتى يتثنى له خدمة تياره اليساري المعارض في مصر.

كانت المرأة المصرية عنصرا أساسيا ينبت عليها الكاتب لحمة الرواية حيث أحاط السرد بعالمها الداخلي والخارجي لكنها كما كانت في يعقوبيان) [1]. كذلك في (شيكاغو) مغلوبة منكسرة منقادة لرغباتها وكأن انهزام الذات المصرية التي اتخذها "الأسواني " تعد ركيزة بنيوية للسرد عنده في كل رواياته . تمثل ذلك في عدة شخصيات منها "شيماء محمدي " التي توحى بدايتها المتفوقة بنهايتها المشرقة إلا أنها على أرض (شيكاجو)الآخر فنراها منهزمة منقادة لرغباتها كما الرجل فالرواية تعرض مسار انهزام المرأة العربية.

وكذلك شخصية(سارة ابنة رأفت ثابت) من زوجته الأمريكية متشل فقد مثلت التفكك الاجتماعي الذى يعيشه٠المجتع الأمريكي ولحضور شخصية(جيف) دور في تعميق ذلك التفكك حيث دفع الأسواني بهذه الشخصية على الرغم من سطحيتها الأمريكية لإبراز الرمز في العلاقة بين الفتاه المصرية والشاب الأمريكي فهي تريد أن تثبت ذاتها أمام الحضارة الأمريكية التي تريدها أن تفعل ما تشاء ، فهي تتنقل

([1])رواية صدرت لذات الكاتب عن دار الشروق سنة٢٠٠٢

معه في شقته وتمارس معه الرذيلة تماما كما يفعل الأمريكان دون رابط شرعي أو أخلاقي لتتساوى بقرينتها من الغرب بإيعاز من والدتها الأمريكية .

أدرك والدها ذلك متأخرا بعد أن غادرت "سارة" بيت والدها للسكن مع "جيف" ولعل قلق الوالد يمثل عودة إلى الذات العربية التي ترفض الاستعلاء الأمريكي الذى يفرض نفسه على الشخصية في كثير من الأحيان مما يجعله يتعصب للأمريكية أكثر من عربيته ولكن مع البنت يختلف الأمر حيث يشعر بوازع الشرف والعرض بعيدا عن الفلسفات الأخرى .

تعد شخصية "سارة" هي نموذج للشخصية المتمردة السلبية التي تعانى الهوس بالحياة الغربية واللذة والتمتع بها حتى وصلت إلى حد إدمان المخدرات .

دفع "الأسواني" بهذه الشخصية كنموذج للشخصية التي تجمع بين الأصول الأجنبية من جهة الأم ، لتعلن عن تحديها لسطوة الأب فهي تعلن التمرد على الذات العربية من خلال اعتراضها على تصرفات أبيها .

(كفاك أكاذيب لقد تسببت في شقائي لا يوجد شيء حقيقي في هذا البيت أمي لا تحبك قط وأنت أيضا لا تحبها وتستمران في التظاهر بأنكما زوجان رائعان آن الأوان أن تسمع رأيي فيك أنت شخص مزيف ممثل فاشل تؤدى دورا سخيفا لا يقنع أحد من أنت هل أنت مصري أم أمريكي عشت حياتك تريد أن تكون أمريكيا وفشلت) [1]. ومن هنا جسد السرد العلاقة بين "سارة" وأبيها ووضع بينهما حدا فاصلا ليكون ذلك استكمالا للمنظومة الدلالية للرواية وهى انهزام الذات العربية أمام الآخر الأمريكي فجاءت النهاية تقليدية عندما أعلن عن مقتل "سارة" مما يعطى دلالة استحالة اندماج الشرق مع الغرب.

([1]) علاء الأسواني رواية شيكاجو مرجع سابق ص ٣٣٠

وفى قصة سارة وغيرها المعبرة عن الشخصيات النسائية المنهزمة دائما يقرن "الأسواني" المرأة بالرجل العربي الذى كان فاعلا أساسيا مضادا لمرجعياته الثقافية والأخلاقية .

ومن ثم حاول المؤلف من خلال مدينة "شيكاجو" أن يعكس جدلية العلاقة بين الأنا والآخر في صورة العلاقة بين الشرق والغرب واختار تلك المدينة أرضية لهذه العلاقة ليقرب من خلالها ما يراه متفقا مع رؤيته تلك الرؤية التي كانت متحكمة في كل روايات المؤلف وقصصه .

أهــم النتائــج

١)— هزيمة الأنا العربية أمام الآخر الأجنبي والذى تمثل في قصة "شيماء محمدي وناجي عبد الصمد "

٢)— هزيمة المثقف العربي وانكساره أمام نظامه السياسي والمتمثل في شخصية صفوت شاكر .

٣)— تفتت المنظومة الأخلاقية وتلاشيها كما في قصة أحمد دنانة.

٤)— انسلاخ الأنا العربية من ذاتها وهويتها كما في قصة رأفت ثابت وابنته.

٥)— إقحام قضايا الآخر وشغل المتلقي بها دون جدوى فنية سوى الحديث عن الدعارة والعنصرية كما في قصة الزنجية "دونا وكارول "

تم بحمد الله وتوفيقه.